الفصل الثالث

السمات المميزة لتلك المدرسة

تبين لنا من خلال عرض منهج الحوفي في التفسير والمراحل التي مر بها في مصر والتي سبقت الحوفي أن التفسير بمصر مرَّ بمراحل عدة حتى وصل إلى الحوفي، وتفسير الحوفي كما بيَّنا يعد مرحلة تطور في التفسير بمصر وقد اتسم بسمات ميزته عن سواه، تلك السمات يمكن أن نقسمها إلى قسمين:

الأول: سمات عامة تميزت بها الشخصية المصرية .

القسم الثاني: سمات خاصة تميز شخصية الحوفي عن سائر المفسرين .

ومجموع السمات العامة والسمات الخاصة تمثل سمات المدرسة المصرية في التفسير أو قل تمثل ملامح الشخصية المصرية في التفسير.

وقبل الحديث عن تلك الملامح لنا أن نلقي الضوء على ما دار حول تلك الشخصية وهل هناك تمايز بين أقاليم الوطن العربي في شخصية المفسر، بمعنى هل اتسم كل إقليم بسمات تميزه عن الأقاليم الأخرى؟ ولكي نكون منصفين في الإجابة عن ذلك لابد أن نفرق بين أمرين:

أولا: الفهم ثانيا: الذوق.

يقول ابن منظور: الفَهْمُ: معرفتك الشيء بالقلب: فَهِمَهُ فَهْماً وفَهَماً وفِهَامةً عَلِمَهُ وفهمت الشيء: عقلته وعرفته. وفهمت فلانا وأفهمته، وتَفَهَّم الكلام: فَهِمَهُ شيئا بعد شيء ورجل فَهِمٌ: سريع الفهم، ويقال: فَهْمٌ وفَهَمَ وأفهمه الأمر وفهَّمه إياه جعله يفهمه و استفهمه سأله أن يفهمه.(١)

١ - ابن منظور: لسان العرب مادة : " فهم "

أما الذوق فيقول: الذوق: مصدر ذاق الشيء يذوقه ذوقاً و ذِواقاً و مَذاقا فالذوق و المذاق يكونان مصدرين و يكونان طعما، كما يقول: ذواقة و مذاقه طيب، و المذاق طعم الشيء و الذواق: هو المأكول و المشروب(١).

و بهذا فالفهم عام و الذوق خاص بمعنى أن الفهم يكون من نفسك و من غيرك أي تستطيع أن تفهم الشيء بنفسك، و قد يساعدك غيرك على فهمه، أما الذوق فلا يكون إلاَّ منك و لذلك تظهر سمات الشخصية جليلة في جانب الذوق أما الفهم فربما تكون ملامحه معماة أو اقل ربما تتكرر عند الآخرين و لكنهم بصورة غير متسقة مع الشخصية نفسها و قولنا بذلك إنما قصدنا به أن التفسير ربما يعتمد في المقام الأول على الفهم و هذا القول لا يمنع من الاعتماد أيضاً على التذوق و لكن بصورة أقل، و إن كان ذلك لا يمنع من القول بأنه ليس هناك حاجز بين الفهم والتذوق كما يقول أستاذي الدكتور الجويني: ليس هناك حاجز بين الفهم و التذوق، فلو كنت أنا فناناً مصوراً أقف أمام صورة أتذوقها أولا ثم أفهمها ثانيا ثم أعود مرة ثالثة لأتعمق تذوقها ففهمها، ففي النص الأدبي أسير سيراً معاكساً أبدأ بالفهم ثم أتذوق و حين أتذوق يتعمق فهمي فأعود الثالثة إلى الفهم أتعمقه و أعود الرابعة إلى التذوق فيزداد إحساس بجمال النص الذي أقراه(٢) و لقد عرضنا ذلك لنبين أن مجال التفسير يقوم أولا على الفهم و لذلك فإن استنباط ملامح الشخصية من التفسير ليس بالأمر الهين، أما في مجال الدرس الأدبي كالشعر و النثر و البلاغة فهو من اليسير استنباطه و لقد عقد الأستاذ الدكتور الجويني في كتابه" ملامح الشخصية المصرية في الدراسات البيانية فصلا عن الشخصية المصرية " وضَّح فيه اثر بيئتي مصر المادية

١ - ابن منظور: نفسه مادة : " ذوق "
٢ - من كلمة الأستاذ الدكتور الجويني: في مناقشة رسالة الماجستير الخاصة بي بعنوان:" النص القرآني عند الزركشي بين الفهم و التذوق." .

والمعنوية في أدب مصر وفنها عالج فيه كيف أثرت البيئة في ذلك مبيِّناً آراء المؤيدين و الرافضين ليخلص من ذلك إلى إثبات تلك الفكرة مستنبطاً السمات التي امتازت بها الشخصية المصرية في هذا الجانب(١).

و بما أثبتناه سالفاً نعرض لبعض السمات العامة ثم السمات الخاصة و قبل الحديث عن السمات نبين طرفاً من إسهام العلماء المصريين الأوائل في حركة التفسير حتى نصل إلى بداية المدرسة المصرية لنقف على سماتها المميزة.

فقد قام كثير من علماء الإسلام في مصر بالمشاركة في حركة التفسير والقراءات و الفقه، و هذه الأعمال التي غطت القرن الأول اشتركت جميعها في تأصيل حركة التفسير بمصر، و تنظيمها و توجيهها و بالتالي تمهيد الطريق لقيام المدرسة المصرية في التفسير(٢).

و أولى خطوات هذه المدرسة هي حفظ و نقل تفسير ابن جبير، فإن الفضل يرجع إلى ابن أبي حاتم في تسجيل هذا التفسير و صيانته من الضياع فانه يرجع في الدرجة الأولى إلى العلماء المصريين الذين حفظوه و تناقلوه إلى أن وصل إلى ابن أبي حاتم نفسه(٣). و تفسير ابن جبير تميز بتوخي البساطة التامة و الوضوح الشديد في تفسير الألفاظ و الآيات، فلا ذكر لوجوه القراءات و لا استشهاد بالاستعمالات اللغوية و لا مناقشات لفظية و لا خلافات نحوية و لا مجادلات كلامية، و لا نكات بلاغية، و إنما مجرد إعطاء المعنى اللغوي للمفردات فمن أمثلة ذلك قوله تعالى﴿ ...تَظَٰهَرُونَ عَلَيۡهِم بِٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ... ﴾(٤) بالإثم يعني المعصية (٥)، وقوله:﴿ ...وَجَدَ عَلَيۡهِ أُمَّةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ ... ﴾(٦) يقول

١ - د. الجويني: ملامح الشخصية المصرية ١١١ و ما بعدها.
٢ - د. عبد الله خورشيد: السابق ٢٨٣.
٣ - د. عبد الله خورشيد: نفسه ٢٨٦.
٤ - سورة البقرة آية ٨٥.
٥ - د. عبد الله خورشيد: نفسه ٢٨٧.
٦ - سورة القصص آية ٢٣.

قوما [١]، و هو بهذا النهج على مدار تفسيره، و الحقيقة فإن لتفسير ابن جبير هذا أهمة خاصة و كثيرة بالنسبة إلى حركة التفسير إذ أنه أول تفسير كامل مدون ... و لا أدل على احتفال المصريين من حرصهم على تناقله عبر الزمن منذ أن ظهر بينهم منذ أوائل القرن الثاني على الأكثر حتى القرن الثالث [٢].

كما ظهر إلى جانب ذلك شاب مصري مخلص متحمس شديد الرغبة في تحصيل العلوم الدينية الرئيسية: الحديث، الفقه، القراءة و التفسير، هذا الشاب هو عبد الله بن وهب ت ١٥٥هـ حرص على أن يؤلف تفسيرا للقرآن الكريم و قد ضاع هذا التفسير في صورته المستقلة غير أننا نستطيع لحسن الحظ استخراجه استخراجا يكاد يكون كاملا من تفسير الطبري الذي ندين له بصيانة كثير من التفاسير القديمة من الضياع [٣].

و إن كان ابن وهب في تفسيره قد اعتمد على تفسير عبد الرحمن بن زيد فيكفيه أنه حفظ لنا تفسير ابن زيد الذي انتقل برمته إلى الطبري، و كما برع ابن وهب في تفسير القرآن برع تلميذ آخر لليث بن سعد ت ١٧٥هـ هو عبد الله بن صالح ت ٢٢٣هـ اهتم بالتفسير النقلي و لقد سجل الطبري في تفسيره روايات نقلها عنه تكاد تشمل كل الآيات القرآنية [٤]. و معنى هذا أن عبد الله بن صالح لا يقوم فيه بأكثر من الرواية و روايته ترجع في الأعم الأغلب إلى مصدر واحد بعينه وهو: ابن عباس [٥]، كما ظهر عبد الغني بن سعد الثقفي (ت ٢٢٩ هـ) و هو من الذين أسهموا في التفسير فقد ذكر المؤرخ المصري ابن يونس في تاريخه أنه مفسر مصري صاحب تفسير كما ذكر الخليلي (ت٤٤٦ هـ) أن أطول ما

---

١ - ابن أبي حاتم: تفسير ٤٥٨/٧.
٢ - د. عبد الله خورشيد: السابق ٢٩٩/٧.
٣ - راجع المواضع التي ذكرها د. عبد الله خورشيد: السابق ٣٠٢.
٤ - راجع المواضع التي ذكرها د. عبد الله خورشيد: ٣٨٥- ٣٩٦.
٥ - د. عبد الله خورشيد: نفسه ٣٨٤.

يرويه المفسر المصري بكر بن سهل الدمياطي (ت ٢٨٩ هـ) عن عبد الغني بن سعيد عن موسى بن محمد عن أبي جريج[١].

ثم ظهر عالم آخر متعدد المواهب هو أبو جعفر النحاس ت ٣٣٨ هـ تتلمذ علي كبار الأساتذة المصريين فأخذ التفسير عن بكر بن سهل الدمياطي ت ٢٨٩ و من الحق أننا نجد أنفسنا في أبي جعفر النحاس إزاء شخصية علمية متجددة الجوانب، شديدة الخصوبة غزيرة الإنتاج، و أبو جعفر في هذا ليس سوى ثمرة لما بلغته الحياة العلمية المصرية في عصره من نمو و تقدم و تطور استطاعت معه أن تنتج مثل هذه الشخصية الباهرة[٢].

و كذلك ظهر تلميذه أبو بكر الإدفوي ت ٣٨٨ هـ فقد تتلمذ على النحاس و برع في التفسير، و تتلمذ على يده الحوفي ت ٤٣٠ هـ و على عاتق هؤلاء الثلاثة قامت المدرسة المصرية في التفسير.

هكذا مصر بدورها في فهم النص المقدس طوال عصر الولاة، و لا شك أنه كان دوراً ايجابيا فعالا مثمراً، و لو لم تقدم مصر في هذا المجال سوى أنها حفظت تفسير كل من ابن عباس، و ابن جبير، و ابن زيد لكان ذلك حسبها، فكيف و قد استطاعت أن تنتج رجالاً من أصحاب التفسير مثل أبي جعفر النحاس، و أبي بكر الإدفوي و الحوفي[٣]، هذا إلى جانب ذلك القدر الضخم من الروايات الخاصة بالتفسير التي حفظها و تناقلها المصريون ليستفيد بها المفسرون من مثل الطبري في تفاسيرهم. على أن أهم السمات التي برزت و يمكن أن نعدها سمات عامة ما يلي:

١ - د. عبد الله خورشيد: نفسه ٣٩٦.
٢ - د. عبد الله خورشيد: نفسه ٣٩٨.
٣ - الحوفي: البرهان ١١٨/١.

الجمع بين المناهج المتعددة:

و هذه السمة أو ذلك الملمح يظهر جلياً واضحاً في تفسير الحوفي الذي إليه آلت المدرسة المصرية في التفسير.

ففي مجال التفسير اللغوي:

نرى أن هذه المدرسة قد اهتمت اهتماماً شديداً بالقراءات: فالنحاس قد أفرد كتاباً لذلك سماه " القطع و الائتلاف إلى جانب كتابيه: إعراب القرآن و معاني القرآن و في كليهما اهتم بالقراءات، كما شهد للإدفوي من ترجم له أنه كان من قراء القرآن و قد آلت إليه مدرسة ورش في القراءة و شهد له الحوفي بقوله: و بها قرأت على أبي بكر في اعتباره، و قال هو من اختيار أبي حاتم و أقرأنا أيضا بالمدة الخفيفة(١).

أما الحوفي فإليه آلت مدارس القراءات القرآنية بما أثبته في تفسيره، و بما بيَّناه في منهجه في التفسير، و هو متنبه لأهمية القراءات إذ أن الاهتمام بالقراءات من أصل المناهج العلمية في الدراسات القرآنية ذلك أنه يراد بهذا المنهج العلمي الذي التزمه الحوفي في تفسيره تصحيح القراءة و ضبط التلاوة لأنه ينبعث عن تحريف القراءة تغيير اللفظ القرآني المنزل و من ثم تحريف المعنى فالحرص على (٢)سلامة النطق حرص في الوقت عينه على سلامة معنى النص القرآني و صيانته من شبهة أي تحريف، فالقراءة المحببة عنده هي تلك التي أجمع عليها القراء، ولذلك نراه عند عرضه للقراءات يأتي بآراء علماء القراءات و يعلل لكل قراءة، ففي قوله تعالى: ﴿ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۖ وَلَلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (٣)

١ - الحوفي: البرهان ١١٨/١.
٢ - د. الجويني: مناهج في التفسير ٥٠.
٣ - سورة الأنعام آية ٣٢.

يقول: قرأ ابن عامر" ولدار الآخرة" بلام واحدة و خفض الأخرى على الإضافة الباقون بلامين و رفع الأخرى، فالخفض على الإضافة و الرفع على الوصف ووافق الفريقان ما في مصاحفهم، و قرأ نافع و ابن عامر ﴿...أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾(١): و مثله في الأعراف ويوسف و القصص و يس بالتاء في جميع ذلك، و وافقهما حفص إلا في يس فإنه قرأها بالياء أبو بكر في يوسف و القصص بالتاء و ما عداهما بالياء، فالتاء على المواجهة و التوبيخ و التقدير، أي قل لهم ألا تعقلون، و الياء على التوبيخ و التقدير للغيب أي قل يا محمد أفلا يعقلون أن الأمر هكذا فيزدهروا في الدنيا، و قرأ نافع والكسائي" يكذبونك" بسكون الكاف و تخفيف الذال، الباقون بفتح الكاف وتشديد الذال(٢). فالحوفي في تخريجه للقراءة يعتد على قول ابن عامر(٣)، و نافع(٤) وحفص(٥) و أبو بكر(٦)، و الكسائي(٧)، و هو بهذا يجمع بين أقوال علماء الإقراء من كل الأمصار ليصل إلى سلامة معنى النص القرآني و صيانته من شبهة التحريف.

و هو لا يكتفي بتحقيق القراءة و الجمع بين علل القراء بل يبحث في الجانب اللغوي فيقول في نفس الآية: و اختلف أهل اللغة في ذلك فحكي الكسائي عن العرب أكذب الرجل إذا جاء بالكذب و رواه، و كذبته أخبرته أنه كاذب، و هكذا حكي أبو عبيد و حكي

---

١ - سورة الأنعام من الآية ٣٢.

٢ - الحوفي: البرهان ٢١/١٠.

٣ - ابن عامر: " إمام أهل الشام و قاضيهم"، أبو عمران عبد الله بن عامر بن يزيد بن تميم بن ربيعة جمع له بين الإمامة و القضاء و مشيخة الإقراء توفي ١١٨ هـ.
"القسطلاني: لطائف الإشارات٩٦/١"

٤ - نافع: إمام دار الهجرة في القراءات، نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم المدني" طائف الإشارات ٩٣/١.

٥ - حفص: أبو عمر حفص بن عامر بن صهبا النحوي الضرير الدوري، كان إمام عصره في القراءات رواية أبي عمرو توفي ٢٤٦ هـ " لطائف الإشارات ١٠١/١"

٦ - أبو بكر: شيخ مكة و إمامها في القراءة، أبوه معبد، أو أبو عباد أو أبو بكر بن عمرو بن عبد الله بن زاذان المكي الداري " لطائف الإشارات ٩٤/١".

٧ - إمام أهل الكوفة، أبو الحسن علي بن حمزة بن عبد الله بن بهمن بن فيروز الكوفي الكسائي ت ١٨٩ هـ " لطائف الإشارات ٩٧/١"

أبو عمر الدوري عن الكسائي أن معنى يكذبونك أنهم ليسوا يكذبون قولك فيما سوى ذلك و تأوله بعض المتأخرين قال ذهب الكسائي أن الإكذاب في حديث الرجل يكون في بعض حديث الرجل و إخباره التي يريها والتكذيب في كل ما أخبر به، و قال محمد بن يزيد يكذبونك بمعنى قولك كذب، و قال أبو إسحاق معنى كذبته قلت له كذبت وأكذبته أريت ما أتى به كذب و يشهد للتشديد قوله عز و جل(وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ ...)[1]، فهو بهذا يجمع بين قول الكسائي و أبي عبيد و أبي عمر الدوري و محمد بن يزيد المبرد و أبي إسحاق.

و كما أن الاهتمام بالقراءة يستدعي منطقيا الاهتمام بالصنعة النحوية في النص القرآني إذ أن هذا الاهتمام بضبط أواخر الكلمات إنما يقصد أساساً إلى المعنى فعلى المعنى يدور ضبط الكلمة الفاعل يرفع و المفعول به ينصب و ما لحقه الجر بسبب من أسبابه يجر و هكذا إن رحت تتبع أبواب النحو، فالالتفات من النحويين إلى إعراب القرآن التفات موجه أولاً و قبل كل شيء لخدمة معنى القرآن و تجليته، و لا اعرف جهداً أبرع و لا أصدق في تحليل النصوص مثل الجهد الذي بذله النحويون في خدمة النص القرآني بخاصة و النصوص العربية بعامة[2].

و لقد اهتمت المدرسة المصرية باعراب القرآن اهتماما بالغا فالنحاس قد أفرد لذلك كتابه إعراب القرآن و الحوفي أفرد كتابه إعراب القرآن بجانب إفراده لكل آية من آيات النص القرآني في تفسيره جانباً عالج فيه مسائل النحو بمعناه الواسع من إعراب و اشتقاق و تصريف و غير ذلك[3].و هو في كل ذلك يجمع بين آراء أئمة علماء اللغة و القراءات و غيرهم.

---

١ - الحوفي: البرهان ٣١/١٠.
٢ - د. الجويني: السابق ص ٥٠.
٣ - راجع ملحق الرسالة: قسم الإعراب.

أما في مجال التفسير النقلي:

فقد اهتمت المدرسة المصرية بتفسير القرآن بالقرآن و تفسير القرآن بالسنة ومعرفة أسباب النزول و الناسخ و المنسوخ و غير ذلك مستقصية في ذلك أقوال أهل الرأي من صحابة رسول الله و التابعين و أئمة المسلمين معتمدة على مدرستي ابن عباس و ابن يزيد وكما قلنا فلقد نشطت المدرسة المصرية في هذا الاتجاه نشاطاً ملحوظاً استمدت منه المدارس الأخرى، ولعل ابرز دليل على ذلك ما جاء في تفسير ابن جرير الطبري من اعتماده في أغلب الأحيان على علماء مصر و من أبرز من اعتمد عليهم عبد الله بن صالح و بكر بن سهل(١).

أما في مجال التفسير:

فلقد شاركت مصر العالم الإسلامي في هذا المجال، فبها ظهر المذهب الشافعي الذي قدم إلى مصر و أفتى بمذهب مالك ثم كوَّن لنفسه مذهباً فقهياً متميزً نبع من مصر و انتشر في العالم الإسلامي، و استمر مذهبا مالك و الشافعي سائدين حتى عصر الحوفي الذي جمع بين المذاهب المتعددة التي ذاعت و انتشرت و التي لم تنشر وهو يعتمد في المقام الأول على ما جاء بالنص القرآني. فحديث رسول الله صلى الله عليه و سلم فأقوال العلماء: وقلما تجد ذلك في كتاب تفسير أو حتى كتاب فقه ومثال ذلك ما جاء في قوله تعالى ﴿ ...وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ... ﴾(٢) يقول: و قد اختلف أهل العلم في الديات على ثلاثة أوجه فوجه أن دية الكتابي مثل دية المسلم فقاله عمر بن الخطاب و عثمان ابن عفان رضي الله عنهما و ابن

١ - راجع الطبري: جامع البيان ٥٨/١، ٣٩/٥، ١٣٨/٨، ١٣٩، ٨١/٩، ١١١/١٧.
٢ - سورة النساء آية ٩٢.

مسعود و معاوية بن أبي سفيان، والوجه الثاني: نصف دية المسلم قال ذلك عمر بن عبد العزيز و عروة بن الزبير و عمر و ابن شعيب و به قال مالك وحكي عن ابن شبرمة و أحمد بن حنبل غير أن أحمد بن حنبل قال ذلك إذا قتله خطأ وبه قال عطاء و ابن المسيب و الحسن و عكرمة و عمرو بن دينار و الشافعي و أبي ثور، إسحاق و أما المجوسي فقالت طائفة ديته ثماني مائة درهم روي ذلك عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه و به قال سعيد بن المسيب و عطاء و سليمان بن يسار و الحسن و عكرمة و الشافعي و مالك و أحمد و إسحاق و قالوا طائفة دية المجوسي نصف دية المسلم قال ذلك النخعي و الشعبي و هو قول سفيان الثوري وأصحاب الرأي[1].

والحوفي بهذا قد جمع بين ما قال به الخلفاء الراشدون و عمر بن الخطاب و عثمان وبين أئمة المذاهب التي ذاعت و انتشرت مالك و الشافعي و أحمد بن حنبل و بين أصحاب المذاهب التي لم تنتشر سفيان الثوري و إبراهيم النخعي و الشعبي و أبي ثور و غيرهم سعياً وراء وحدة الفكر الإسلامي و هذا منهج قل أن تجده في كتب التفسير بل تكاد المدرسة المصرية في التفسير أن تنفرد به .

أما السمات الخاصة،

التي أشرنا إليها في الفصل الأول من هذا الكتاب و هي:

١. الميل إلى السهولة و التخفيف.
٢. التوسط و الاعتدال.
٣. وحدة الفكر الإسلامي عن طريق الجمع بين الاتجاهات التفسيرية المتعددة.
٤. المحافظة على التراث الثقافي.

---

١ - الحوفي: البرهان ٣١/٨.

و هذه السمات ظهرت منذ بداية المدرسة المصرية و التي أشرنا إلى أن أعمدة هذه المدرسة الذين حملوا على عاتقهم تكوينها و رعايتها و هم: النحاس، و الإدفوي و الحوفي و قد بيَّنا ذلك عند حدينا عن منهج الحوفي في التفسير.

فسمة الميل إلى السهولة و التخفيف ظهرت جلية في عناية المدرسة بالجوانب اللغوية كالإعراب و القراءات القرآنية و الاشتقاق و التصريف.

فالإعراب مثلاً مع وصل إليه الآن من الصعوبة بسبب التعقيد نوع من التخفيف للأسباب الآتية:

١. لأن الإعراب من المسائل المهمة في الكشف عن المعنى ففي قوله تعالى:﴿ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً... ﴾(١)، يقول النحاس: إمام منصوب على الحال أي يؤتم به: و رحمة عطف على إمام أي و نعمة و هذا كتاب مصدق لساناً عربياً منصوب على الحال و الضعيف في العربية يتوهم أنه حال من نكرة لأن الذي قبله نكرة و الحال من النكرة ليس بجيد و لا يقال في كتاب الله جل و عز ما غيره أجود منه فلسانا منصوب على الحال من المضمر الذي في مُصَّدق و المضمر معرفة و جاز نصب لسان على الحال، لأنه بمعنى مبين و كان على بن سليمان يقول: في هذا هو توطئة الحال و"عربية " منصوب على الحال، كما تقول: هذا زيد رجلا صالحا(٢)، فالنحاس كشف المعنى عندما وجه الإعراب و هذا نوع من التسهيل و التخفيف.

نرى الحوفي قد التزم هذا المنهج ففي قوله تعالى:﴿ لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى ۖ وَإِن يُقَٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴾(٣)، يقول: يضروكم نصب بلن و علامة النصب حذف النون و الكاف و الميم في موضع نصب بيضروكم إلا أذى إلا حرف استثناء

١ - سورة الأحقاف آية ١٢.
٢ - النحاس: إعراب القرآن ١٦٢/٤.
٣ - سورة ال عمران آية ١١١.

وأذى نصب على الاستثناء المنقطع و يجوز أن يكون غير منقطع و يكون إلا أذى خلف من مصدر يضرونكم كأنه إلا ضرراً يسيراً فجعل أذى في هو أحسن معنى الآية لأنه إذا توجه المتصل فليس يجب أن يرد إلى المنقطع(١).

و هكذا فإن ما جاء من الإعراب إنما جاء لكشف المعنى.

٢. أن قراءة الآية معربة يأمن اللبس و يجنب القارئ اللحن و هذا أيضاً نوع من التيسير و السهولة.

و القراءات القرآنية نوع من التسهيل و التخفيف لأنك إذا قرأت الكلمة على نمط واحد كأن تكون الكلمة بها حرف مفتوح يليه حرف مكسور و قرأتها ممالة لكان عمل اللسان عملاً واحداً و كان ذلك أيسر على القارئ من الانتقال إلى الفتح إلى الكسر.

و إذا عرفت أصل الكلمة و أوجهها الصرفية تيسر عليك فهمها. ولذلك كانت المدرسة المصرية في التفسير تأخذ في الاعتبار اهتمامها بالجوانب اللغوية من إعراب و قراءات و اشتقاق و تصريف سعيا للتخفيف و السهولة.

كما كان في جمع الآراء و المذاهب و الاتجاهات و عدم الوقوف عند حد المذهب طريقا لوحدة الفكر الإسلامي.

كما وفقت مصر في المحافظة على التراث الثقافي، و صيانته من العبث توفيقا عظيما، حتى لقد خيل إلى الباحثين، أن العلوم الإسلامية كلها قد نسيت يومئذ من جميع الأذهان نسيانا تاما، لتكتب من جديد، و يتبع في كتابتها نظام جديد، و تلك كانت الفكرة الأساسية عند أصحاب الموسوعات و هي الإلمام بالثقافة الإسلامية من جميع أطرافها(٢).

١ - الحوفي: البرهان ٢٣/٦.
٢ - د. عبد الطيف حمزة: السابق ٣٧١.

بالإضافة إلى كل ذلك فلابد من ملائمة الشخصية للتطور اللغوي، أو قل توافق الشخصية مع عملية ألفاظ اللغة، هذا أمر ضروري لكل أمة بل لكل مجتمع على حسب عاداته و تقاليده و حاجياته فالمتأمل في ألفاظ الحضارة الأوربية و الحضارة الإسلامية أو على الأقل في ألفاظ اللغة العربية وقت نزول القرآن الكريم، وألفاظها في العصر الحديث يدرك الفرق واضحا، فالألفاظ الحديثة واقعية ترتبط بمفهوم الإنسان المعاصر و حاجاته المادية و تلبي رغباته في التمتع و الترف و الارتباط بالمادة، بينما الألفاظ القديمة مريشة مشحونة بالحركة، تكاد تنتزع المرء من الواقع وتشده نحو السماء(١).

و هذا طبعي باختلاف الزمان و المكان يستتبعه بالضرورة اختلاف في الألفاظ ذلك الاختلاف يعد سمة من السمات التي تميز مدرسة عن أخرى، و تفسير الحوفي قد وقع به بعض الألفاظ التي لم أقف عليها في تفسير آخر من مدرسة أخرى فمثلا يقول في معنى المن : معناه الترنجبين و لم أجدها في تفسير آخر سابق عليه و هذا يحتاج منا إلى دراسة مستقلة.

و هذا الصنيع إنما تمثل في تفسير الحوفي حتى ليخيل إليك أنه موسوعة إسلامية جمعت جميع المباحث الإسلامية من لغوية و نقلية و فقهية و كلامية و أدبية و هذا كله لم يتأت إلا من ظروف مجتمعه و خضوعه لعاداته و تقاليده التي استوجبت مثل هذا الصنيع الموسوعي فإذا اتخذنا تعريف المجتمع بأنه جمع من الناس يتفاعل أفراده، ويتعاونون على تحقيق أهداف خاصة بوسائل محددة في بقعة معينة و لهم نمط ثقافي معين و يتصرفون وفق شبكة من النظم التي يخضعون لها للوصول إلى حل مشكلات حيوية بالنسبة لهم، إذا

١ - د. عبد الحميد إبراهيم: الوسطية العربية مذهب و تطبيق ٤٨.

اتخذنا هذا التعريف منطلقا للدراسة فسنجد المجتمع المصري ذا نمط ثقافي معين نتيجة لظروفه التاريخية و موقعه الجغرافي (١).

و من هنا جاء تفسير الحوفي المصري متلائما مع طبيعة المجتمع المصري الذي يميل إلى السهولة و التخفيف والتوسط و الاعتدال.

و أخيراً فهذه كلمات قليلة تحتاج إلى مزيد من البحث أثبتناها أمام الباحثين لتكون طريقا للدخول في هذه المنطقة الجديدة من مناطق البحث العلمي، وهي منطقة المدرسة المصرية في التفسير و سماتها الفنية.

١ - د. عبد الحميد إبراهيم: القصة المصرية و صورة المجتمع الحديث ١٧.

الخاتـــمة

نحاول في هذه الخاتمة أن نثبت النتائج التي انتهت إليها الدراسة و نتناولها من جوانب ثلاثة:

أولا: مكونات الحوفي الثقافية و أثر ذلك في تفسيره:

أثبتت الدراسة أن تفسير الحوفي إنما جاء نتيجة لعدة عوامل أثرت عليه منها:

أ. نشأته العلمية و تكوينه الثقافي:

فبتلمذته على أساطين العلم – سواء كانت تلمذة مباشرة أو غير مباشرة أفاد منها الحوفي بدون شك فقد استلهم التراث السابق عليه ثم نخله و تخير أجوده وجمع بين التلمذة المباشرة على يد النحاس والإدفوي و غيرهم ممن آلت إليهم مدارس التفسير في مصر و بين التلمذة غير المباشرة باستلهامه للتراث الضخم الذي سبقه.

ب. البيئة و أثرها عليه:

فموقع مصر الجغرافي و ما حدث من عمليتي المد والجزر والأخذ والعطاء بين مصر والعالم الإسلامي إلى جانب الحالة السياسية والدينية والثقافية التي عمت البلاد في عصره كان لها أكبر الأثر في الحوفي و تفسيره، كما أن العادات والتقاليد لمجتمع من المجتمعات و تسربها على المدى البعيد لابد أن يكون لها أثرها على صنيعه فلو اتخذنا تعريف المجتمع بأنه جمع من الناس يتفاعل أفراده و يتعاونون على تحقيق أهداف خاصة بوسائل محددة في بقعة معينة ولهم نمط ثقافي معين و يتصرفون وفق شبكة من النظم التي يخضعون لها للوصول إلى حل مشكلات حيوية بالنسبة لهم[1] لجاء نتاجهم العلمي متكاملاً من جميع جوانبه متميزاً بسمات تميزه عن غيره، فإذا تغير المجتمع لسبب سياسي أو ديني فلابد من وجود رد فعل لذلك و هذا ثابت من صنيع الحوفي في تفسيره.

---

١ - د. عبد الحميد إبراهيم: القصة المصرية ١٧.

ج. تراثه الثقافي و مصادره التي استقى منها مادة تفسيره:

أثبتت الدراسة أن مؤلفات الحوفي قد جاءت نتيجة لموسوعيته العلمية ومصادره التي استقى منها مادته و يكفي دليلا على ذلك هذا التفسير فهو بحق يعد موسوعة علمية جمعت بين اتجاهات التفسير و مناهجه المتعددة و مباحث العربية ، و هذا لا يكون إلا من عالم وعي العلوم السابقة عليه و انتقى أجودها، فإذا كان كل مؤلف من المؤلفات السابقة على الحوفي غلب عليه طابع مؤلفه أو منهجه أو مذهبه فإن الحوفي قد جمع بين المناهج المختلفة والمذاهب المتعددة و إنما ذلك قد جاء من وعي الحوفي بتخير مصادره إلي استسقي منها مادة تفسيره واعتماده على أئمة كل فن في مجال القراءات واللغة والنحو والمأثور بجوانبه المتعددة ومذاهبه، ولقد كشفت الدراسة في هذه الجانب أمانة الحوفي العلمية للأسباب الآتية:

١. نسبه كل قول إلى قائله و إسناده إلى صاحبه.
٢. دقته في بيان من استقى منه مادته، وذلك أن يذكر اسم أستاذه كاملا خوفا من اللبس كقوله: قال أحمد بن جعفر الدينوري، أو محمد بن جرير أو محمد بن يزيد.
٣. نصه على الأوجه التي قيلت في مسألة واحدة أو ذكره: " وقد ذكرت الأوجه في ذلك ومما يحسب للحوفي في هذا الجانب:

أ. حفظه لعدد كبير من مصادر التراث العربي.

ب. ابتكاره لمنهج جديد في التفسير

و هذا المنهج إنما جاء نتيجة لتكاملية أدوات التفسير عنده، فعلى الرغم من أن عنوان الكتب يشير إلى أن المصنف في علوم القرآن فالغريب والإعراب والأحكام والقراءات والناسخ والمنسوخ و أسباب النزول تسبق في العناية التفسير لكن الدرس يوقفنا على حقيقة الكتاب فترتيبه على الآي و السور بالإضافة إلى أننا لا نجد بحثا نظريا في علوم

القرآن التي ذكرها في عنوان كتابه ولكننا نجد استخداماً واعياً لهذه الأدوات في العملية التفسيرية ز ذلك يقطع بأن الكتاب درس تطبيقي لعلوم القرآن موزع على الآي والسور.

ج.عدم تعصبه لمذهب معين

و هذا يدل على استقلالية بالرأي دون الوقوف عند حد المذهب. أو منهج في التفسير فهو يجمع بين المنهج اللغوي و النقلي والفقهي والكلامي و الأدبي و هذا يدل على عقلية موسوعية وعت كل شيء وصهرته في بوتقتها ثم شكلته في ثوب جديد فجاء صنيعاً متفرداً به عن غيره.

ثانيا: منهجه في التفسير و شموليته:

أثبتت الدراسة تكاملية منهج الحوفي في التفسير و شموليته و ذلك لمعالجته للجوانب التالية:

١. الجانب اللغوي:

و به تميز منهج الحوفي في تفسير القرآن، فهو بثقافته اللغوية و بذكائه الجاد استطاع أن يعالج المسائل اللغوية ببراعة العالم الذي وعي السابق عليه، و قد حرصت الدراسة على إبراز الجانب اللغوي في تفسيره في نقاط أربع:

أولا: عناية الحوفي بالظاهرة الصوتية:

و قد نتجت هذه العناية من الاهتمام بالقراءات القرآنية و الاهتمام بالقراءة من أصل المناهج العلمية في الدراسات القرآنية. ذلك أنه يراد بهذا المنهج العلمي تصحيح القراءة و ضبط التلاوة لأنه ينبعث عن تحريف القراءة للفظ القرآني المنزل ومن ثم تحريف المعنى، فالحرص على سلامة النطق حرص في الوقت عينه على سلامة المعنى وصيانته من شبهة أي تحريف.

لهذا بيَّنت الدراسة اهتمام الحوفي بهذا الجانب فهو لم يترك آية على مدار النص القرآني إلا و بين أوجه القراءات و علل لكل قراءة و في تعليله لكل قراءة كشف الجوانب الصوتية التي تعد من أولويات الدراسات اللغوية فمثلا يقول عن الهمزة أنها حرف جلد يخرج من الصدر باجتهاد، ما بين حاجة اللسان لأن يعمل عملاً واحداً كما بينت الدراسة ذلك في جانب الإمالة و اشتملت عنايته بتلك الظاهرة: الإمالة و تحقيق الهمز و تخفيفه و الإدغام و الإشمام و قصد في بيانه لذلك الميل إلى السهولة والتخفيف و سلامة النطق كما لم تقف عناية الحوفي عند هذا الحد بل ربط القراءات القرآنية باللهجات العربية و كشف دور القراءات في فهم المعنى، و هو في كل هذا يجمع بين آراء أئمة القراءات في جميع الأمصار.

ثانيا: عنايته بالاشتقاق و التصريف:

و في هذا الجانب أثبتت الدراسة موسوعية الحوفي فصنيعه لم يحظ به كتاب تفسير سابق عليه أو لاحق بع فهو لم يترك كلمة على مدار النص القرآني إلا و بيَّن أوجهها الصرفية و أصلها اللغوي بل لا نكون مغالين إذا قلنا أنه أوفى مادة من المعاجم اللغوية المتخصصة في هذا و ما أثبتناه في متن الرسالة و ما جاء في ملحق الرسالة لدليل على موسوعيته في هذا المجال و بهذا المجال و بهذا يعد الحوفي من أئمة أهل اللغة.

ثالثا: الدلالة اللفظية:

كما أثبتت الدراسة أن الحوفي بثقافته اللغوية استطاع أن يعالج اللفظة المفردة من النص القرآني من خلال مصطلحي النظير و النقيض بل بلغت به الدقة أنه فرق بين اللفظة و نظيرها و بيَّنها و نقيضها كل ذلك ليكشف عن المعنى الدقيق للفظة القرآنية.

رابعاً: عنايته بالإعراب و ثقافته النحوية الواسعة:

كشفت الدراسة عن عناية الحوفي بالإعراب، و هو في عنايته بضبط أواخر الكلم إنما قصد أساسا المعنى فعلى المعنى يدور ضبط الكلمة، هكذا جاء اهتمام النحويين بإعراب القرآن و تجليته ففي قوله تعالى:﴿ ...قُلۡ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلۡهُدَىٰۖ وَأُمِرۡنَا لِنُسۡلِمَ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٧١ وَأَنۡ أَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّقُوهُۚ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴾، يقول: و أن أقيموا الصلاة في أن ثلاثة أوجه يجوز أن يكون المعنى أمرنا لأن نسلم وأن أقيموا الصلاة، ويجوز أن يكون المعنى و بأن أقيموا الصلاة فيكون في هذين بالتقدير على حذف الحرف في موضع نصب لما حذف الحرف وصل الفعل إليها، ويجوز أن يكون عطف على المعنى أي يدعونه إلى الهدى و يدعونه إلى أقيموا الصلاة لأن معنى أتينا أن أتينا و قال المبرد: أن معطوفة على اللام من لنسلم لأن معناه و أن نسلم لأن اللام و أن بمعنى يطلبه كل واحده و منها المستقبل.

غير أن الدراسة قد كشفت أن مما يوجه للحوفي في هذا الجانب انسياقه وراء القاعدة النحوية فيصبح نحويا نظريا.

٢- الجانب النقلي:

بيَّنت الدراسة أن عناية الحوفي بالجانب النقلي لا تقل أهمية عن عناية الحوفي بالجانب اللغوي، ولقد ساعدته سعت ثقافته و استلهامه لهذا الجانب من مصادره الأصلية و اعتماده على أئمة التفسير ابن عباس و ابن زيد أن يحيط بجوانب التفسير النقلي، فقد جاءت عنايته بتفسير القرآن بالقرآن فما أجمل في موضع يفسره موضع آخر كما كانت عنايته بالقرآن كانت عنايته بالسنة انطلاقا من السنة هي الشارحة و المبينة لما أجل في القرآن و هو في كل هذا يهتم اهتمام كبير؛ بمعرفة أسباب النزول فهو حين يعرض

للآي يفسرها يضيء المعنى و يوضحه ببيان سبب النزول و ذلك أن أكثر المنسوخ يتقدم على الناسخ نزولا. كما يهتم بالتفسير القصصي و هو يلتزم بما جاء في النص القرآني و يربط ذلك بما جاء من أقوال الصحابة و التابعين دون تزيد إلا إذا دعت الحاجة إلى ذلك.

٣- الجانب الفقهي:

بيَّنت الدراسة عدم تعصب الحوفي لمذهب فقهي فهو لا يترك مسالة فقهية جاءت في كتاب الله إلا و بينها و ذكر أقوال العلماء سواء منهم من ذاع صيته وانتشر مذهبه كمالك و الشافعي و أبي حنيفة و أحمد بن حنبل أو من لم ينتشر مذهبه كسفيان الثوري وأب ثور و ابن شبرمة و الأوزاعي و غيرهم جامعا أي أقوال الصحابة عمر بن الخطاب و على بن أبي طالب و عثمان و التابعين منتهيا في ذلك إلى ما جاء بالنص القرآني و بما ثبت في السنة مستقصيا لجميع المسائل الفقهية مما يضفي على تفسيره أنه خير كتاب ظهر في الفقه.

٤- الجانب الكلامي:

و لطبيعة العصر الذي عاش فيه الحوفي و العصور السابقة عليه و بروز الجانب الكلامي نرى الحوفي قد اهتما بإبراز الجانب الكلامي و لكن بطريقة أهل السنة الذين نصبوا أنفسهم للدفاع عن عقيدة الإسلام أمام متأولي النص القرآني.

٥- الجانب الأدبي:

و لكي تكتمل العملية التفسيرية لم يهمل الجانب الأدبي فقد بيَّنت الدراسة اهتمام الحوفي ببيان الإعجاز القرآني، كما كشفت عن الجوانب البلاغية التي عالجها كما بينت كيف استخدم الحوفي الشاهد الشعري و مدى اتفاقه و اللفظة القرآنية.

بهذا جاء تفسيره متكاملا من جميع مستوفيا للشروط الواجب توافرها في مفسر القرآن، فلم يبرز جانبا على حساب جانب آخر، إنما جاءت عنايته على حد سواء وعلى

الرغم من أهمية تفسير الحوفي، حال العصر الفاطمي بين شهرته مع غيره من مصنفات أهل السنة للأسباب الآتية:

١. أن الفاطميين حاولوا نشر مذهبهم الشيعي على حساب المذهب السني و غيره من المذاهب و عندهم أن المذهب الشيعي هو المذهب الصحيح و ما سوى ذلك فهو باطل، و وضعوا كل الإمكانات في سبيل نشر هذا المذهب، فأثّر ذلك بالطبع على العلماء السنيين و منهم الحوفي.

٢. و أن ما أصاب الدولة الفاطمية في آخر أيامها من قحط جعلها عاجزة على سداد حتى رواتب الجند و الموظفين فاضطرت إلى سداد تلك الرواتب عن طريق منحهم مصنفات علمية كانت تقدر بأحمال الجمال.

٣. و ما أصاب خزائن الكتب من السلب و النهب و الحرق بالإضافة إلى ما نقل إلى البلاد الأخرى و ما سف عليه التراب و أصبحت تعرف بتلال الكتب.

٤. و أن الدولة الفاطمية قضت عليها الدولة الأيوبية فقضت على البقية الباقية من تراثهم و تراث عصرهم.

لعل كل ذلك كان من العوامل التي أدت إلى عدم ذيوع تفسير الحوفي أو مصنفاته.

ثالثا: المدرسة المصرية في التفسير و اثر الحوفي فيها:

أسهمت الدراسة في محاولة إبراز ملامح المدرسة المصرية في التفسير التي وضع لبنتها الأولى النحاس و أكمل أساسها الإدفوي و شيدها الحوفي ولكي تثبت الدراسة ذلك دارت حول ثلاث محاور:

المحور الأول تراث التفسير في مصر قبل الحوفي:

كشفت الدراسة مشاركة في ذلك من سبقها في هذا الاتجاه عن مدى إسهام المصريين في حركة التفسير منذ دخول الإسلام مصر إلى عصر الحوفي، و أثبت أن للمصريين دوراً مهما في هذا الجانب حتى أن أساطين العلم قد رجعوا إليهم و استقوا منهم. يتضح ذلك من تفسير ابن جرير الطبري الذي تتلمذ على إعلام المفسرين المصريين كابن وهب و عبد الله بن صالح و بكر بن سهل الدمياطي.

المحور الثاني: تفسير الحوفي يعد مرحلة تطور في التفسير:

أثبتت الدراسة أن الحوفي بمنهجه المتفرد الذي لم يسبق إليه و جمعه بين المناهج والاتجاهات التفسيرية و بين المباحث اللغوية و الفقهية و الكلامية و الأدبية أثر؛ فيمن جاء بعده، إنما ينقل التفسير من مرحلة التفرد باتجاه واحد كالتفسير النقلي أو التفسير اللغوي أو التفسير الفقهي أو التفسير القصصي أو الإخباري إلى مرحلة الجمع بين كل هذه المناهج و الاتجاهات.

المحور الثالث: السمات التي ميزت تلك المدرسة عن سائر المدارس الأخرى في التفسير:

و في هذا الجانب أثبتت الدراسة أن المدرسة المصرية قد تميزت بسمات أو قل ملامح ميزتها عن سائر مدارس التفسير من أهمها:

١) *الجمع بين مناهج و اتجاهات التفسير* مما يدل على تكاملية في التفسير لا توجد في مدارس أخرى.

٢) *الميل إلى السهولة و التخفيف* بما ألزمت به نفسها من تخير الأقوال في العديد من المسائل: كالقراءات : فبالكشف عن الإمالة و تحقيق الهمز و تخفيفه والإدغام و الإشمام إنما ذلك لم يكن إلا تخفيفا و بعدا عن صعوبة النطق.

والإعراب على رغم ما آل إليه من التعقيد لم يكن إلا لكشف المعنى. وغير ذلك من المباحث التي جاءت في متن الرسالة لتبيِّن ذلك.

٣) **التوسط و الاعتدال**: وهذا ما يتضح من ترجيح الآراء والأخذ بأجودها وهذا ثابت في الأحكام الفقهية والمسائل الكلامية.

٤) **وحدة الفكر الإسلامي** وذلك عن طريق الجمع بين الأقوال. وكل هذه السمات إنما جاءت من طبيعة الشعب المصري الذي يميل إلى السهولة والاعتدال والوحدة الفكرية وهذا ثابت على مر العصور. ولهذا جاءت النتائج ملخصة في العناصر الثلاثة التالية:

أ. إن الكتاب تفسير للقرآن استخدم فيه مؤلفه الأدوات الواجب توافرها لدى المفسر الذي يقوم بتفسير القرآن وهذا لا يكون إلا من عالم ذي باع طويل في علوم القرآن.

ب. إن كتاب البرهان جمع فيه الحوفي مناهج التفسير المتعددة. فجمع بين المنهج اللغوي الذي استقى مادته من علماء اللغة السابقين عليه متنبها إلى فائدة الاستخدام اللغوي في الكشف عن المعنى، وبين المنهج النقلي جامعاً بين المدارس السابقة عليه كمدرسة ابن عباس وابن زيد مستوعبا لأقوال المفسرين السابقين عليه، وبين المنهج الفقهي وكيفية كشفه عن المسائل الفقهية مبتعدا عن قاعدة الوقوف عند حد المذهب مما أضفى على تفسيره طابعاً تفسيراً جديداً في موطنه، وبين المنهج الكلامي ملتزما فيه أقوال أهل السنة، وبين المنهج الأدبي. وهذا ما يميز تفسيره عن قرائنه في التفسير.

ج. و كتاب البرهان بهذا يجمع بين طريقين: الطريق التربوي الذي إن سلكه أي باحث في علوم العربية كان له دليلا و نبراسا يهديه الطريق الصحيح:

ففي المجال اللغوي: يعد كتاب البرهان من أهم الكتب التطبيقية في الظاهرة الصوتية والاشتقاق و التصريف و الدلالة اللفظية و الإعراب و القاعدة النحوية.

و في المجال الفقهي: يجد فيه المذاهب المتعددة و الحكم الفقهي الجامع الذي يهديه الكثير من الكتب الفقهية السابقة عليه.

و في المجال الأدبي: فإنه خير دليل على كشف عديد من المسائل البلاغية.

و الطريق التفسيري: الذي جمع فيه – كما قلنا – بين مناهج التفسير المتعددة تغني الباحث في تفسير القرآن عن كثير من كتب التفسير السابقة عليه و اللاحقة به.

و بهذا عد كتاب البرهان مدرسة جمعت بين المناهج المتعدد و هذا لا يحدث إلا من عالم وعي السابق عليه و نخله و تخير أجوده.

و أخيرا حاولت الدراسة أن تقدم تفسيرا لعدم شهرة هذا الرجل و تفسيره على الرغم من هذه الأهمية التي نلمسها و أرجعت ذلك إلى ظروف سياسية و دينيةو أسباب تتعلق بالعقائد البشرية عند بعض تلاميذه و لاحقيه و لأهمية هذا التفسير نطالب بالآتي:

١. العمل على تحقيق هذا المخطوط إذ لا يستطيع باحث بمفرده أن يقوم بتحقيقه ولابد من تضافر جهود العلماء و اشتراك الجهات العلمية لإنجاز هذا العمل الضخم و ذلك تعميماً لفوائده كثيرة منها:

أ. أنه يغني طلاب العلم المتخصصين في دراسة النحو العربي عن كثير من كتب النحو التي اتجهت إلى التقعيد دون التطبيق.

ب. أن يعد معجماً لغوياً أغنى مادة من معاجم اللغة التي اتجهت إلى الرصد دون التعليل.

ج. أنه كتاب فقهي يغني الباحثين في مجال الفقه عن كثير من مصادر الفقه لجمع الوفير و عدم توقفه عند حد المذهب.

د. أنه كتب أدبي يغني كثيرا من الباحثين الذين يبحثون في هذا الجانب.

٢. توجيه طلاب العلم لإعداد بحوث علمية حول المخطوط فهو حقل بكر لكثير من الدراسات العلمية التي من أهمها:

أ. تحقيق المخطوط.

ب. فكرة النظم و كيف عالجها الحوفي.

ج. ملامح الشخصية المصرية في التفسير في القرنين الرابع و الخامس الهجري.

د. أثر الحوفي فيمن جاء بعده من المفسرين.